منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية*

د. عودة عبد عبدالله** و بلال عبدالرحمن سليم***

تاريخ وصول البحث: ١١/ ٤/ ٢٠١٦ م تاريخ قبول البحث: ٧/ ٨/ ٢٠١٧ م

ملخص

يقوم هذا البحث على دراسة منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهليّة. وقد ظهر هذا المنهج واضحاً جلياً من خلال تحذير القرآن الكريم من سلوك الجاهلية وبيان زيفها وبطلانها. ثم دعوة القرآن الكريم للإعراض عن الجاهلية، والنهي عن التشبه بها. إضافة لوصف الأمم الكافرة بالجهل، كما كان الحال مع قوم نوح عليه السلام وقوم عاد، وبني إسرائيل. وأخيراً بيان براءة الأنبياء عليهم السلام من الجهل والجاهلية، باعتبارها عنواناً للنكوص عن الحق والانحراف عن المنهج السليم.

الكلمات الدالة: القرآن، التفسير الموضوعي، الجاهلية.

Abstract

This research aims to investigate the Holy Quran’s approach regarding warning from Al-Jaheliyah (Non-Islamism). This approach has been clearly demonstrated by the Quran's warning of the unbelievers' behavior in Al-Jaheliyah (Non-Islamism) and its falsification and invalidity. Further, the Holy Quran calls for keeping away from Al-Jaheliyah and not imitating it. Furthermore, the paper describes pagan peoples with Al-Jaheliyah, as was the case with the people of Noah, Add people (the people of the Prophet Hud), and the people of Israel. Finally, the study clarifies the virtuousness of the prophets, peace be upon them, from ignorance and Al-Jaheliyah which is considered as a deviation from the right approach.

Keywords: Quran, Thematic interpretation, Non-Islamism.

* مستل من أطروحة ماجستير.

** قسم أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

*** ماجستير أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إن الناظر بعين التأمل والتدبر في كتاب الله –تعالى– يجد أن الجاهلية ليست مرحلة زمنية أتت وانقضت، وإنما هي تصورات وعقائد وأحكام وسلوك وأخلاق وأوضاع بنيت على غير هدي السماء، وأُسّست على الهوى والتقليد للآباء والأجداد.

ومن خلال تتبع آيات الذكر الحكيم المتعلقة بالجهل والجاهلية؛ تبين وجود حقائق مهمة، وضوابط للتصورات والقيم لا غنى للمسلم المعاصر عنها، وهو يعيش ويعايش الجاهلية المعاصرة بصورها المتعددة والمختلفة.

وهذا البحث ينطلق من الآيات القرآنية التي ذكرت الجهل والجاهلية؛ بغرض الوقوف على منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية ومسالكها، وذلك من خلال تحليل الواقع المعيش، والإشارة إلى مظاهر الجاهلية فيه، والتطرق إلى كثير من المجالات التي لامستها الجاهلية في هذا العصر، وما يترتب على ذلك من نتائج وآثار سلبية ينبغي الحذر منها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحرِّي في الدراسات القرآنية، وجدتُ بعض الدراسات التي لها علاقة بموضوع الجاهلية في القرآن الكريم، ومن أهمّها:

١-جاهلية القرن العشرين، لمحمد قطب: تحدّث فيه مؤلّفه عن ملامح الجاهلية الحديثة، وانحراف تصوّراتها، وفساد سلوكها؛ وعرض ذلك كلاً حسب مجاله، فبيّن انحراف الجاهلية في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والأخلاق، وغير ذلك من المجالات.

٢-حكم الجاهلية، لأحمد شاكر: تحدّث فيه مؤلّفه عن بعض مظاهر الجاهلية في هذا العصر، وربط كل مظهر بأعداء الإسلام، مشيراً إلى دورهم القوي في تشويه الإسلام، وطمس شعائره.

٣-مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، لمحمود شكري الآلوسي: تحدّث فيه مؤلفه عن بعض مظاهر الجاهلية، مشيراً إلى السبب الرئيس وراء ذلك، والذي هو غياب الدين.

٤-التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور صلاح الخالدي: حيث تناول في الجانب التطبيقي في أحد فصوله موضوع الجاهلية كنموذج لتفسير المصطلح القرآني.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تعالجه، ويمكن إجمال أهمية هذه الدراسة في الآتي:

١-إنها جاءت خدمة لكتاب الله تعالى، فهي دراسة قرآنية بالدرجة الأولى، إذ إن القرآن الكريم كان المصدر الأول والأساس والرئيس فيها.

٢-إنها دراسة واقعية هامة، تكشف عن الداء، وتقدّم الدواء.

٣-إنها جاءت لتزيل ركاماً من الشبهات والتساؤلات حول مفهوم الجاهلية وتطبيقاتها في العصر الحديث.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

١-ما مدى اهتمام القرآن الكريم بموضوع الجاهلية؟

٢-ما المنهج الذي سلكه القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية؟

٣-كيف عالج القرآن الكريم هذه القضية بكل جوانبها المتعددة؟

٤-كيف تابع القرآن الكريم الآثار المترتبة على الجاهلية؟

أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف هذه الدراسة بالآتي:

١-لفت الأنظار إلى منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية.

٢-الإفادة من هذا المنهج في حياة المسلم المعاصر.

٣-التحذير من هذا الداء العضال حتى لا يستشري في المجتمع.

منهجية الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي تحدثت صراحة عن الجهل والجاهلية، ثم تحليل هذه الآيات ودراستها، وفق منهجية البحث في التفسير الموضوعي.

وإني مقرّ أن هذا الجهد الذي قمت به هو جهد المقلّ، ولكنها محاولة للوقوف والتأمل والتدبر والاستنباط، فإن كان صواباً فمن الله تعالى، فله الحمد والمنّة، وإن كان الثاني فمني وحدي، وأستغفر الله وأتوب إليه.

تمهيد:

الجهل في اللغة يدل على نقيض العلم، قال الأزهري: "والمعروف في كلام العَرَب جهلتُ الشيءَ، إذا لم تَعرفه"[1]، ولهذا قيل: زوال الجهل بالعلم، وزوال

الغي بالرشد[٢]. ويبين الراغب الأصفهاني المعاني المتعلقة بالجهل، فيقول: "الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضيا للأفعال الجارية على غير النظام، والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا كمن يترك الصلاة متعمدا"[٣].

وقد وردت مادة (جهل) في القرآن الكريم أربعا وعشرين مرة. خمس عشرة مرة في السور المكية، وتسع مرات في السور المدنية[٤].

والمتتبع لورود مادة (الجهل) واشتقاقاتها في القرآن الكريم، يرى أن استعمال هذه الكلمة كان يدور حول مجموعة من المعاني، أهمها:

١. نقيض العلم. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[الأنعام: ١١١].

٢. الجهل السلوكي (السفه والخفة والطيش). كما في قوله تعالى:﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٨].

٣. المعصية. كما في قوله تعالى:﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[هود: ٤٦]. قال السمعاني: "أي: إني أحذرك أن تكون من الآثمين"[٥].

٤. ضعف الإيمان. كما في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنعام: ٥٤].

٥. الجاهلية بمعنى الفترة التي سبقت الإسلام. كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[الفتح: ٢٦].

ويأتي هذا البحث من أجل بيان منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية. وستتم معالجة هذا الموضوع من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: التحذير من سلوك الجاهلية

كان أهل الجاهلية متفرقين، تحكمهم رابطة القبيلة والدم، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ

هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[الفرقان: ٤٤]، القوي يأكل الضعيف، والغني يستحقر الفقير، زادهم الحروب، يحتكمون لشهواتهم، ويتحيزون لحميتهم الجاهلية، فجاء الإسلام العظيم، ليخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وهذا الأمر شهد به أهل تلك الفترة، الذين كتب الله ﷻ لهم الهداية، فانتشلهم الإسلام من بُؤس الجاهلية، إلى نعيم الإسلام.

هذه المعاني وردت على لسان جعفر ابن أبي طالب حينما قال لملك الحبشة: "أيّها الملك إنّا كنّا قوماً أهل جاهليّة نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف، فكنّا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده ونخلع ما كنّا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصّلاة والزكاة والصّيام"[٦].

من أجل ذلك، حذّر القرآن الكريم من الجاهلية، وبيّن العواقب المترتبة عليها، ذلك أن الجاهلية خروج من النور إلى الظلمة، فبعد أن حرّر الإسلام الناس من الجاهلية، ونقلهم إلى جنة الإسلام ونوره، ثم هم يعودون إلى الجاهلية التي كانوا فيها، وهذه قهقرة لا تكون من إنسان عاقل مدرك تماما لحقيقة ما يفعل.

وقد استخدم القرآن الكريم أساليب كثيرة، وطرقا متنوعة، في التحذير من الجاهلية، وفي بيان خطرها، فتارة يُرَهِّب منها، وتارة يُرَغِّب في الابتعاد عنها، وأخرى يُبين عواقب الانسياق وراءها، وفي غيرها يسرد قصصاً لأناس سماهم القرآن الكريم (جاهلون)، ثم كانت نهايتهم حسرة ووبالا. كل تلك الأساليب وغيرها، استخدمها القرآن الكريم للتحذير من الجاهلية، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: بيان بطلان أمور الجاهلية.

ذكر القرآن الكريم الجاهلية مشيرا إلى بطلانها، وأن كل أمورها زائلة، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ

إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٨-١٣٩].

فبعد أن ذكر الله ﷻ جاهلية بني إسرائيل، ووصفهم بالقوم الجاهلين، تحدث عن بطلان ما هم فيه، والبطلان كما يقول الرازي: "عدم الشيء، إما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ومقصوده، والمراد من بطلان عملهم: أنه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا دفع ضرر"(٧).

فأمور الجاهلية كلها أمور باطلة لا فائدة فيها، بل إن عواقبها وخيمة تعود بالضرر على فاعلها، من أجل ذلك قال النبي ﷺ: "أَلا كُلُّ شَيْءٍ من أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ"(٨)، أي باطل، فإن المراد من الوضع تحت القدم الإبطال"(٩).

وقد توعّد الله ﷻ بتدمير أمور الجاهلية ومحقها، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾، أي مهلك ومدمِّر، قال الطبري: "الله مهلك ما هم فيه من العمل، ومفسده، ومخسرهم فيه بإثابته إياهم عليه العذاب المهين"(١٠)، وقال ابن عطية: "متبر: أي مهلك مدمر، ردي العاقبة"(١١).

وهذه الآيات يُؤكِّدها قول الله ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣]، أي أعمال البر التي كانوا يعملونها في الجاهلية، فهي كلها لا أجر لهم فيها، قال أبو السعود: "المراد به أعمال البر التي عملوها في الجاهلية، فإنها في أنفسها حسنات لو قارنت الإيمان لاستتبعت أجورها وإنما بطلت لمقارنتها الكفر"(١٢)، وقال البغوي:"باطلا لا ثواب له، فهم لم يعملوه لله ﷻ"(١٣).

وهذا الأمر أكدته السنة النبوية، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: "مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ ﷻ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ ﷻ"(١٤).

فالنبي ﷺ، جعل الدّعوة إلى الجاهلية سببا لدخول النار، حتى لو أن صاحبها كثير الصلاة والصوم، فإن دعوته للجاهلية قد أفسدت عليه صلاته وصومه، بل ونفت عنه صفة الإسلام، حتى قال فيه عليه السلام: (وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ).

والآيات وإن كانت تتحدث عن أعمال الجاهلية، إلا أنها حملت بين طيّاتها أيضاً الوعيد لأهلها، فكما أن أعمال الجاهلية باطلة، وإن مآلها إلى زوال، فإن

أهلها أيضا يعيشون حياة باطلة، وأنهم لابدّ زائلون، قال الآلوسي: "والجملة تعليل لإثبات الجهل المؤكد للقوم، وفي إيقاع اسم الإشارة اسما لإن وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبر لها، وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار، وأنه لا يعدوهم البتة، وأنه لهم ضربة لازب، ليحذرهم عاقبة ما طلبوا، ويبغض إليهم ما أحبوا، ووجه ذلك أن اسم الإشارة بعد إفادة الإحضار وأكمل التمييز يفيد أنهم أحقاء بما أخبر عنه به بواسطة ما تقدم من العكوف والتقديم يؤذن بأن حال ما هم فيه ليست غير التبار وحال عملهم ليست إلا البطلان فهم لا يعدونهما فهما لهم ضربة لازب"(١٥).

المطلب الثاني: بيان ما في الجاهلية من فتنة وابتلاء.

تحدث القرآن الكريم عن الجاهلية بوصفها فتنة وابتلاء، وأنّ الله ﷻ قد كشف عنها من أجل التمحيص، فقا سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران: ١٥٤].

فبعد أن تحدث القرآن الكريم عن الجاهلية، وخصص منها أمراً نفسياً كان دارجا في الجاهلية، واستمرت رواسبه في بعض الأفراد في المجتمع الإسلامي، قال سبحانه:﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، إشارة منه إلى حكمة الله ﷻ في الكشف عنها.

وهذه الحكمة تكمن في غربلة المجتمع من المنافقين، الذين انبهروا بغيرهم من الأمم، وحاولوا تسريب بقايا من أمور الجاهلية في المجتمع الإسلامي النقي، فكشف الله ﷻ عن سرائرهم، قال ابن الجوزي: "قال قتادة: أراد ليظهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه من الأمنة، وإظهار سرائر المنافقين، وهذا التّمحيص خاص للمؤمنين، وقال غيره: أراد بالتمحيص إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين"(١٦).

فالله ﷻ كشف عن هؤلاء الذين يظنون بالله ﷻ ظن الجاهلية ليحفظ المجتمع الإسلامي منهم، قال الآلوسي: "والتمحيص تصفية، وإنما فعله لحكمة تعمّ، إذا أريد به الكشف والتمييز، ويصح أن يقال: إن هذه الجملة مشعرة بأنه تعالى غنيّ أيضاً، ومن هنا جوّز بعض المحققين كونها حالاً من متعلق الفعلين، أي فعل ما فعل للابتلاء والكشف، والحال أنه تعالى غنيّ عنهما محيط بخفيات الأمور، إلا أنه لا يظهر حينئذ سر التعبير عن الإسرار والخفيات بذات الصدور دون ذات القلوب"[١٧].

وهذه الآية وإن كانت في واقعة مخصوصة في غزوة أحد[١٨]، إلا أن الحكمة مستمرة في كل وقت وحين، ذلك لأن الله ﷻ جعل الآية عامة في كل سوء أدب مع الله، وفي كل أمر من أمور الجاهلية، فأطلق القول بقوله:﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، قال الرازي: "اعلم أن ذات الصدور هي الأشياء الموجودة في الصدور، وهي الأسرار والضمائر، وهي ذات الصدور، لأنها حالة فيها مصاحبة لها، وصاحب الشيء ذوه وصاحبته ذاته، وإنما ذكر ذلك ليدل به على أن ابتلاءه لم يكن لأنه يخفي عليه ما في الصدور، أو غير ذلك، لأنه عالم بجميع المعلومات وإنما ابتلاهم إما لمحض الإلهية، أو للاستصلاح"[١٩].

المطلب الثالث: إظهار ندامة من عمل بعمل الجاهلية.

أشار القرآن الكريم في معرض تحذيره من الجاهلية، إلى ندامة من عمل بعمل من أعمال الجاهلية، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

فالآية وإن كانت تتحدث عن التوخي والحذر من الشائعات، إلا أن القارئ يفهم من خلالها ، ندامة من عمل بعمل جاهلي، وذلك استناداً إلى قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ﴾، أي جاهلين، قال الرازي: "في تقدير حال، أي أن تصيبوهم جاهلين"[٢٠]، وقال الآلوسي: "ملتبسين بجهالة"[٢١].

والجهل في الآية ليس الخطأ، بل هو أعظم منه، قال الرازي: "والجهل فوق الخطأ، لأن المجتهد إذ أخطأ لا يسمى جاهلاً، والذي يبني الحكم على قول الفاسق إن لم يصب جهل فلا يكون البناء على قوله جائزاً"[٢٢].

وقد أشارت الآيات إلى أنّ من يعمل بعمل جاهلي، لابد وأن تكون عاقبته الندامة، أخذاً من قول الله ﷻ: ﴿فَتُصْبِحُواْ

عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، قال الرازي: "بياناً لأن الجاهل لا بد من أن يكون على فعله نادماً...، ﴿فَتُصْبِحُواْ﴾ أي فتصيروا آخذين في الندم متلبسين به ثم تستديمونه"[٢٣].

وأشار أبو السعود، إلى أن تركيب الحروف الثلاثة (ن د م)، في الآية، يشير إلى الدوام والاستمرارية في الندم، قال أبو السعود: "﴿نَادِمِينَ﴾: مغتمين غما لازما، متمنين أنه لم يقع، فإن تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام"[٢٤].

ومن الآية الكريمة نلاحظ استمرار ودوام هذه الندامة، ولقد أشارت السنة النبوية إلى عدم قصرها على الدنيا فقط، بل إن الذي يعمل بعمل جاهلي يستمر به الندم في الدنيا والآخرة، قال -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ[٢٥]، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ[٢٦] الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ»[٢٧].

ففي الحديث إشارة إلى شقاء من دعا إلى جاهلية، والشقاء سبب موجب لدخول النار، لأنه مصطلح قرآني استخدمه القرآن في أمر الدين، قال سبحانه:﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هـود: ١٠٥-١٠٦]، قال أبو السعود: "﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾: أي وجبت له النار بموجب الوعيد"[٢٨].

وفي الحديث أيضا إشارة إلى هوانه عند الله، ومن هان على الله لم تشمله الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[الحج: ١٨]، قال القرطبي: "من أهانه بالشقاء والكفر لا يقدر أحد على دفع الهوان عنه"[٢٩].

المطلب الرابع: إصدار الأحكام الصارمة بحق من عمل عملا من أعمال الجاهلية.

من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية وأعمالها، أنه أعطى الأحكام الصارمة بحق من يعمل عملا ينتسب إلى الجاهلية، لبيان شناعتها، فوصف الذين يدعون إلى حكم الجاهلية بأنهم (كافرون، ظالمون، فاسقون)، فقال سبحانه:﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. والفاء هنا للعطف على مُقدَّر يقتضيه المقام، أي يتولّون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية، وتقديم المفعول

للتخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجيب، لأن التولي عن حكمه ﷻ، وطلب حكم آخر منكر عجيب، وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب"[٣٠].

ثم أصدر القرآن الكريم الأحكام في حق من لم يحكم بما أنزل الله، فحكم عليهم بالكفر، فقال سبحانه:﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ثم حكم عليهم بالظلم، فقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[المائدة: ٤٥]، ثم حكم عليهم بالفسق، فقال سبحانه:﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[المائدة: ٤٧].

والمستعرض لتلك الأحكام، يرى أنها أحكام شديدة، لا تكون إلا بحق من انتهك أمراً عظيماً، ذلك هو استبدال بحكم الإسلام حكم الجاهلية، من أجل ذلك أنكر الله عليهم، حتى حكم عليهم بأشد الأحكام، قال ابن كثير: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل، إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، بما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان، الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظرة وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير"[٣١].

فالقرآن الكريم استخدم كل الأساليب في التحذير من الجاهلية، بما في ذلك أسلوبي: (التوبيخ، والتقريع)، والذي تجلّى في إصدار أكبر حكم في الإسلام، وهو الكفر، بحق من عمل بعمل من أمور الجاهلية، ثم حكمي الظلم والفسق، وهذا تقريع ما بعده تقريع.

المطلب الخامس: بيان عقوبة من عمل بأعمال الجاهلية.

تحدث القرآن الكريم عن بعض مظاهر الجاهلية، مشيرا إلى العقوبة المترتبة على فعل هذا العمل، أو معقّبا ببيان العقوبة التي

حصلت لمن كان قد عمل بعمل جاهلي، وكل هذا في المحصِّلة، لزيادة التحذير من الجاهلية وأعمالها.

وعندما تحدث القرآن الكريم عن قوم لوط، وأشار إلى العمل القبيح الذي كانوا يفعلونه، ووصفهم بأنهم قوم يجهلون، بيّن العقوبة التي أوقعها الله ﷻ عليهم بسبب تلك الجاهلية فقال جل في علاه:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴿٥٧﴾وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[النمل: ٥٤-٥٨].

وهذه العقوبة خاصة بقوم لوط وما نزل العذاب عليهم إلا من أجل اقتراف هذا العمل، وكل من صنع صنيعهم، فهو مستحق لذلك العذاب ، وقد ذكر سبحانه أن العقوبة ليست بعيدة عن أناس فعلوا هذه الفاحشة، فبعد ذكره سبحانه عذاب قوم لوط قال تعالى:﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴿٨٣﴾﴾.

وعندما تحدّث القرآن الكريم عن قوم عاد، وأشار إلى جاهليتهم، ذكر سبحانه العقوبة التي عاقبها الله ﷻ له بسبب تلك الجاهلية، فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢١-٢٥].

فهذا نوع آخر من العذاب لمن انتسب إلى الجاهلية، أو عمل بأعمالها، فقوم عاد استهانوا بنبيهم، واستهزأوا به، واستعجلوا العذاب، فعاقبهم الله ﷻ بالريح التي تحمل بين طيّاتها العذاب الأليم، وتدمّر كل ما يقف في طريقها.

ولما أخبر القرآن الكريم عن جهل الإنسان حين رضي أن يأخذ أمراً لا طاقة له به، أشار إلى عذاب من أخذ أمرا ثم هو لم يلتزم بشروطه، ولم يرعه حق الرعاية، فقال

سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

فعدم معرفة العواقب، والرضى بالأمر دون تنفيذه، أمر جاهلي يوصف فاعله بالجهالة، قال النسفي: "جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها، وضمنها ثم خان بضمانه"(٣٣).

وقد استحق صاحب هذا الفعل العذاب، لأنه خان ما وكِّل إليه، فلم يلتزم بوعده، قال الشنقيطي: "دلّ هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان هو المعذب والعياذ باللّه"(٣٤).

وهكذا فكل عمل جاهلي، وكل حضارة قامت على الجاهلية، وكل أمة قامت على الجاهلية، فمآلها إلى الزوال، ولابد وأن العقوبة هي مصيرهم، يقول الأستاذ محمد قطب: "كل جاهلية ذات حضارة، كانت تظن أن حضارتها المنحرفة هي الخير والبركة، والارتفاع الذي ليس وراءه ارتفاع، وكانت النتيجة الحتمية واحدة في النهاية، انهارت تلك الحضارات، أو تلك الجاهليات، بحكم ما فيها من جاهلية وانحراف"(٣٥).

وقال في موضع آخر: "هناك حتميات في أقدار الناس، حتميات حقيقية لأنها من صنع الله، ومن هذه الحتميات أن هذه الجاهلية لا تستطيع أن تبقى إلى الأبد مسيطرة على أقدار الناس، فإنها لابد ستنهار، تنهار بحكم ما فيها من شر غالب"(٣٦).

المبحث الثاني: الدعوة للإعراض عن الجاهلية.

المطلب الأول: أمر الله ﷻ للمؤمنين بالإعراض عن الجاهلية.

دعا القرآن الكريم المسلمين إلى الابتعاد عن الجاهلية، وحذّر من الخوض في غياهبها، أو التقرب منها أو من أي عمل يتصل بها، أو من أي إنسان ينتسب إليها، فقال سبحانه:﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩].

الأصل في الداعية أن يدعو إلى الله ﷻ، وألا يُعرض عن أحد من خلقه، إلا أن هذه الآية دلّت على أن هؤلاء الجاهلين لا ينفع معهم أمر إلا الإعراض، لأن النبي ﷺ قد ابتدأ معهم بأمرين قبل الإعراض، وهما: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾.

فالنبي ﷺ قد أمرهم بالعرف، وعفا عنهم في كل ما عملوه، ثم لّما لم يكن منهم استجابة، أراد صيانة نفسه عنهم، فأعرض عنهم، قال ابن الجوزي: "هذا عام فيمن جهل، فقد أمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفههم، وإن وجب عليه الإنكار عليهم"[٣٧]، وقال الشوكاني: "﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: أي إذا أقمت الحجة، في أمرهم بالمعروف فلم يفعلوا، فأعرض عنهم، ولا تماريهم، ولا تسافههم مكافأة لما يصدر منهم من المراء والسفاهة"[٣٨].

فالأصل في الإنسان المسلم عدم الإعراض، إلا أنه لابد منه مع فئة الجاهلين، لأنهم لا ينفع معهم العفو، ولم يسمعوا لأمرهم بالمعروف، بل استهزأوا، وأعرضوا، وعادوا، فكان لابد من معاقبتهم بالمثل، وكما قيل: (آخر الدواء الكيّ)[٣٩]، قال السعدي: "﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: بكل قول حسن، وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حثّ على خير، من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية، أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه، وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فصله، ومن ظلمك فاعدل فيه"[٤٠].

واعلم أن هذه الخطوات: (العفو، والدعوة، ثم الإعراض)، توجيه رباني لأهل الدعوة، وقد نحاه رسول الله ﷺ في مكة، فقابل أذى الجاهلية بالحلم، ثم أمرهم بالمعروف، ثم لّما لم يكن منهم إلا العداء والسفاهة والجهالة، كان منه ﷺ أنْ أعرض عنهم، ثم هاجر من بينهم، وتركهم[٤١]، والإعراض عن الجاهلية، صفة من أهم الصفات التي دلّت عليها مقاصد الشريعة وقواعدها، قال الإمام القرطبي: "ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات، فقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة

الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة"(٤٢).

من أجل ذلك، كانت هذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق كلها، حتى قال جعفر الصادق: "أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية"(٤٣).

والآية وإن كانت تخاطب النبي محمد ﷺ، إلا أنها عامة في كل المسلمين، لأن خطاب النبي ﷺ خطاب لأمته، قال الإمام القرطبي: "وهذا وإن كان خطابا لنبيه عليه السلام، فهو تأديب لجميع خلقه"(٤٤).

والإعراض له وقعه في النفس أكثر من غيره، لأن الإعراض يكون بالترك والإهمال، وهذا الأمر يتنافر مع النفس البشرية التي لا تحب العزلة، فالإنسان مدني بطبيعته، فعندما يرى أُناسا تنفر عنه، فإنه سوف يراجع نفسه، وقد يُغيِّر تفكيره وسلوكه، قال الأستاذ سيد قطب: "والإعراض يكون بالترك والإهمال، والتهوين من شأن ما يجهلون به من التصرفات والأقوال، والمرور بها مر الكرام، وعدم الدخول معهم في جدال لا ينتهي إلى شيء إلا الشد والجذب، وإضاعة الوقت والجهد، وقد ينتهي السكوت عنهم، والإعراض عن جهالتهم إلى تذليل نفوسهم وترويضها، بدلاً من الفحش في الرد واللجاج في العناد، فإن لم يؤد إلى هذه النتيجة فيهم، فإنه يعزلهم عن الآخرين الذين في قلوبهم خير، إذ يرون صاحب الدعوة محتملاً معرضاً عن اللغو، ويرون هؤلاء الجاهلين يحمقون ويجهلون، فيسقطون من عيونهم ويُعزلون! وما أجدر صاحب الدعوة أن يتبع هذا التوجيه الرباني العليم بدخائل النفوس!"(٤٥).

المطلب الثاني: بيان استجابة المؤمنين لأمر ربهم بالإعراض عن الجاهلين.

وإذا كان الله ﷻ قد أمر بالإعراض فقال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، فإن المؤمنين قد التزموا بأوامر ربهم، فأعرضوا عن الجاهلين، حتى إن الله ﷻ قد خلّد هذا الأمر على أنه من صفاتهم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[القصص: ٥٥].

فالمؤمنون في هذا الموضع تركوا الجاهلين سلاماً منهم، فقولهم هنا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، ليس تحية منهم، بل بياناً منهم للمتاركة، قال الزجاج: "لم يريدوا التحية، وإنما أرادوا بيننا وبينكم المتاركة"(٤٦).

فهذه الكلمة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، لها

مقامها، فهي بين المؤمنين تحية، وهي شعار أهل الإسلام فيما بينهم، وقد تكون مع غير المسلمين، أما مع الجاهلين، فهي تعني الإعراض عنهم، وتركهم، قال الحسن البصري رحمه الله: "هذه الكلمة تحية بين المؤمنين، وعلامة الاحتمال من الجاهلين"(٤٧).

وهذه الآية بيان لإعراض المؤمنين عن كل أمر باطل، حتى قال الله ﷻ مطلقا فيهم القول: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾، أي كل أمر باطل، قال الرازي: "واللغو ما حقه أن يُلغى ويُترك من العبث وغيره، وكانوا يسمعون ذلك فلا يخوضون فيه، بل يعرضون عنه إعراضاً جميلاً"(٤٨).

فهم يعرضون عن كل أمر باطل، ويُسَلِّمون أنفسهم منه، وهذا من أدب أهل الإسلام، قال ابن عطية: "والمراد من هذا في هذه الآية: ما كان سبا وأذى، فأدب أهل الإسلام الإعراض عنه"(٤٩).

ولما كانت أمور الجاهلية كلها باطلة، فإن هذا يستدعي أن يكون أهل الإسلام أبعد الناس عنها، من أجل ذلك وصفوا أهل اللغو بأنهم (جاهلين)، وقالوا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾، أي لا نريد أن نكون منهم، قال البغوي: "أي دين الجاهلين، يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه، وقيل لا نريد أن نكون من أهل الجهل"(٥٠)، وهذا إعراض عنهم.

المبحث الثالث: النهي عن التشبه بالجاهلية

أكرم الله ﷻ الإنسان بشريعة سليمة قويمة، وأمره باتباعها، ونهاه عن مخالفتها إلى سواها، فقال سبحانه:﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[الجاثية: ١٨-١٩].

والمقصود من هذه الآيات هو النهي عن اتباع أهل الجاهلية، أو التشبه بهم، لأنهم هم المقصودون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾، قال الإمام الشوكاني: "هم كفار قريش، ومن وافقهم"(٥١)، وقال النسفي: "أي: ولا تتبع مالا حجة عليه، من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة"(٥٢).

من أجل ذلك نهى الإسلام عن التشبه بالجاهلية، بل جعلها من أبغض الأعمال إلى الله، وصاحبها من أبغض الناس إلى الله ﷻ، فقال عليه الصلاة والسلام: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطَّلِبٌ دم امرئ بغير حق ليُهْرِيق دمه"(٥٣).

فهذا الحديث صريح الدلالة في النهي

عن التشبه بالجاهلية، قال ابن تيمية: "الابتغاء: هو الطلب والإرادة، فكل من أراد في الإسلام أن يعمل بشيء من سنن الجاهلية، دخل في هذا الحديث، والسنة الجاهلية: كل عادة كانوا عليها فإن السنة هي العادة"(٥٤).

وقد حرّم النبي ﷺ التشبه بدليل قطعي الدلالة، حتى إنه جعل من تشبه بقوم فهو منهم، قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده ولا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار، على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»(٥٥).

فهذا حديث صريح في حرمة التشبه بالجاهلية، قال ابن كثير: "والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا، وروى الإمام أحمد، وأبو داود: (من تشبه بقوم فهو منهم)، ففيه دلالة على النهي الشديد، والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقرر عليها"(٥٦).

والعلة في تحريم التشبه، أن التشبه يُولِّد نوعا من الحب والموالاة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة"(٥٧).

وقد أشار القرآن الكريم إلى حرمة التشبه، فذكر نماذج من التشبه المذموم بالجاهلية، فذكر التشبه في سوء الظن بالله، فقال سبحانه:﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾[آل عمران: ١٥٤]، وذكر التشبه بالجاهلية في التحاكم، فقال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة: ٥٠]، وذكر التشبه بالجاهلية في التبرج، فقال سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[الأحزاب: ٣٣]، وذكر التشبه بالجاهلية في الحمية الممقوتة، فقال سبحانه: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[الفتح: ٢٦].

وهذه الأمور الأربعة، ذكرها القرآن الكريم لتكون دلالة على حرمة التشبه بمظاهر الجاهلية كلها، فالقرآن الكريم لم يقصد الحصر، بل أراد أن يذكر من العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر، إذ إن التشبه بالكافرين لا يقتصر على صورة واحدة، أو صورٍ محدودة، فهناك صور وأشكال عديدة للتشبه المذموم، من أجل ذلك قال عليه

الصلاة والسلام: "أَلا كُلُّ شَيْءٍ من أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ"(٥٨).

وفي إضافة الأمور الأربعة- (الظن، الحكم، التبرج، الحمية)- إلى الجاهلية دلالة على أن الحرمة إنما هي لأنها من أمور الجاهلية، لأن إضافة المصدر إلى الصفة يفيد الاختصاص، قال الآلوسي: "هذا من إضافة الموصوف إلى مصدر صفته، ومعناها الاختصاص بالجاهلية"(٥٩).

فدلّ هذا على أن علة التحريم هي التشبه، من أجل ذلك قال سيد قطب: "نهى عن تشبه في مظهر أو لباس، ونهى عن تشبه في حركة أو سلوك، ونهى عن تشبه في قول أو أدب، لأن وراء هذا كله ذلك الشعور الباطن الذي يميز تصوراً عن تصور، ومنهجاً في الحياة عن منهج، وسمة للجماعة عن سمة، ثم هو نهي عن التلقي من غير الله ومنهجه الخاص، الذي جاءت هذه الأمة لتحققه في الأرض، نهي عن الهزيمة الداخلية أمام أي قوم آخرين في الأرض، فالهزيمة الداخلية تجاه مجتمع معين هي التي تتدسس في النفس لتقلد هذا المجتمع المعين، والجماعة المسلمة قامت لتكون في مكان القيادة للبشرية فينبغي لها أن تستمد تقاليدها -كما تستمد عقيدتها- من المصدر الذي اختارها للقيادة، والمسلمون هم الأعلون، وهم الأمة الوسط، وهم خير أمة أخرجت للناس، فمن أين إذن يستمدون تصورهم ومنهجهم؟ ومن أين إذن يستمدون تقاليدهم ونظمهم؟"(٦٠).

وإذا ما أراد الإنسان أن يتحدث عن صور التشبه بالجاهلية في عصرنا هذا، فإنه لا يستطيع أن يحصر الأمور التي شاركنا الجاهلية فيها، بل إن عادات الجاهلية صارت في مجتمعاتنا الإسلامية مثالا يحتذى ويقتدى، ورمزا للتقدم والتحضّر، ولا يسع الناظر إلا أن يستذكر حديث النبي ﷺ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ من كان قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بشبر، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حتى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قال: فَمَنْ!»(٦١).

وهذا حقا ما يجري في هذه الأيام، يقول الأستاذ أحمد شاكر: "فانظر ما يفعله المسلمون-بل المنتسبون للإسلام- في عصرنا، من التشبه بالكفار في كل شيء، حتى ليزيد الوقاحة من الكُتَّاب أن يُدخلوا شعائرهم أو ما يشبهها في عباداتنا، وحتى ضربوا على أنفسهم الذلة والصّغار، باصطناع تشريع أوروبة الوثنية الملحدة، في قوانينهم المجرمة الكافرة، أعاذنا الله من الفتن، وأعاد للمسلمين عقولهم ودينهم"(٦٢).

المبحث الرابع: وصف الأمم الكافرة بالجهل

وصف الله ﷻ الأمم الكافرة بأنها أمم جاهلة، وهذا الأمر قد يكون أشد وصف توصف به أمة، إذ إن الجهالة الفردية ذم ما بعده ذم، فكيف إذا كانت الجهالة عامة، بحيث توصف بها أمة بأكملها.

والمتأمل لآيات القرآن الكريم، يرى أن القرآن الكريم وصف أقواماً كافرة بعينها بالجهالة، فوصف قوم نوح بأنهم قوم يجهلون، ووصف قوم لوط بأنهم قوم يجهلون، ووصف قوم عاد كذلك بأنهم قوم يجهلون، ووصف بني إسرائيل بأنهم قوم يجهلون، ووصف أكثر الكافرين والمشركين بالجهالة على وجه العموم، وإليك بيان ذلك.

المطلب الأول: وصف قوم نوح بالجهل.

وصف الله ﷻ قوم نوح بالجهالة، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩].

وقد استحق قوم نوح عليه السلام هذا الوصف، لأنهم خرجوا عن فطرتهم، وغيبوا عقولهم، وطلبوا من نوح عليه السلام أن يطرد المؤمنين، قال الرازي: "إن العقل والشرع تطابقا على أنه لا بد من تعظيم المؤمن البر التقي، ومن إهانة الفاجر الكافر، فلو قلبت القصة، وعكست القضية، وقربت الكافر الفاجر على سبيل التعظيم، وطردت المؤمن التقي على سبيل الإهانة، كنت على ضد أمر الله -تعالى-، وعلى عكس حكمه، وكنت في هذا الحكم على ضد ما أمر الله تعالى من إيصال الثواب إلى المحقين، والعقاب إلى المبطلين، وحينئذ أصير مستوجباً للعقاب العظيم، فمن ذا الذي ينصرني من الله -تعالى-، ومن الذي يخلصني من عذاب الله، أفلا تذكرون فتعلمون أن ذلك لا يصح"(٦٣).

وجهل قوم نوح هنا هو جهل حال، لأنهم جهلوا عاقبة طرد المؤمنين، قال الآلوسي: "ولكني أراكم قوما تجهلون: أي بكل ما ينبغي أن يعلم ويدخل فيه جهلهم بمنزلتهم عند الله-تعالى-، وبما يترتب من المحذور على طردهم، وبركاكة رأيهم في التماس ذلك، وتوقيف إيمانهم عليه، وغير ذلك وإيثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار، وعبر بالرؤية موافقة لتعبيرهم، وجوز أن يكون الجهل بمعنى الجناية على الغير، وفعل ما يشق عليه، لا بمعنى عدم العلم المذموم"(٦٤).

المطلب الثاني: وصف قوم عاد بالجهل.

وحال قوم عاد كحال سابقيهم قوم نوح، فكما وصف الله ﷻ قوم نوح بالجهالة،

فقد وصف قوم نوح بأن الجهالة هي شأنهم، فقال جل في علاه:﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٢-٢٣].

وأراد هود عليه السلام من وصف قومه بالجهالة أن يبيّن لهم بأن الجهالة هي شأنهم، قال الآلوسي: "ولكن أراكم قوما تجهلون: أي شأنكم الجهل، ومن آثار ذلك أنكم تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل، من الإتيان بالعذاب"(٦٥).

إلا أن قوم هود لم يرتدعوا من توبيخ نبيهم لهم، ووصفه لهم بالجهالة، بل ظلوا مصرّين على جهلهم، وسفاهتهم، وحماقتهم، من أجل ذلك جاء الوصف لهم بصيغة المضارع ﴿قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾، ليكون دلالة على استمرارهم في الجهالة، قال الشوكاني: "﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾: حيث بقيتم مصرين على كفركم ولم تهتدوا بما جئتكم به"(٦٦).

ولشدة جهل قوم عاد، وشدة عنادهم، باتوا يظنون أن إصرارهم على كفرهم -مع علمهم بأنه باطل- قهراً للرسول، فأعرضوا عنه، وتركوا دعوته، ولكن هيهات هيهات، قال الأستاذ سيد قطب: "وأية حماقة، وأي جهل أشد من استقبال النذير الناصح، والأخ القريب بمثل هذا التحدي والتكذيب؟"(٦٧).

ومن أجل ذلك، فسّر بعض المفسرين الجهالة في هذا الموضع بالإعراض، قال الواحدي:"﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾: "وأنتم تعرضون"(٦٨).

المطلب الثالث: وصف قوم لوط بالجهل.

وقوم لوط كان لهم نصيب من الجهالة، فقال الله عز وجل فيهم: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[النمل: ٥٤-٥٥].

فقد سمى الله عز وجل قوم لوط بأنهم: (قوم يجهلون)، أي يجهلون أن هذا الفعل متناقض مع كل عُرف، ومع كل دين، قال سيد قطب: "هي ظاهرة غريبة في تاريخ الجماعات البشرية، فقد يشذّ أفراد لأسباب مرضية نفسيّة، أو لملابسات وقتية، فيميل الذكور لإتيان الذكور، وأكثر ما يكون هذا في معسكرات الجنود، حيث لا يوجد النساء، أو في السجون التي يقيم فيها المسجونون فترات طويلة، معرضين لضغط الميل الجنسي، محرومين من الاتصال بالنساء، أما أن يشيع هذا الشذوذ، فيصبح هو القاعدة في بلد

بأسره، مع وجود النساء وتيسر الزواج، فهذا هو الحادث الغريب حقاً في تاريخ الجماعات البشرية![٦٩].

وجهالة قوم لوط ليست كجهالة سابقيهم، بل هي أشد وأعظم، وذلك ناشئ عن قباحة فعلهم، من أجل ذلك حوت جهالتهم معاني كثيرة، وكل معنى من تلك المعاني تنطبق عليهم، قال الآلوسي: "﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: أي تفعلون فعل الجاهلين بقبح ذلك، أو يجهلون العاقبة، أو الجهل بمعنى السفاهة والمجون، أي بل أنتم قوم سفهاء ماجنون"[٧٠].

فقوم لوط تجاوزوا كل الحدود، واخترقوا كل الأعراق، وخرجوا عن كل عادة، بل وتجرأوا على حدود الله، وانتهكوا حدوده، قال السعدي: "﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ متجاوزون لحدود الله، متجرؤون على محارمه"[٧١].

وحقيقة الأمر، فإن قوم لوط قوم جاهلون، لأنهم لم يفرقوا بين الحسن والقبيح، وبين الأمر اللائق من عدمه، قال البيضاوي: "﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: تفعلون فعل من يجهل قبحها، أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح"[٧٢].

وقد تميّزت جاهلية قوم لوط على غيرها من الجاهلية، بأنهم أناس تفاخروا بجاهليتهم، فقالوا للوط عليه السلام ومن آمن معه: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[النمل: ٥٦].

وهذا رد يدل على عظم جاهليتهم، قال سيد قطب: "وقولهم هذا قد يكون تهكماً بالتطهر من هذا الرجس القذر، وقد يكون إنكاراً عليه أن يسمى هذا تطهراً، فهم من انحراف الفطرة بحيث لا يستشعرون ما في ميلهم المنحرف من قذارة، وقد يكون ضيقا بالطهر والتطهر إذا كان يكلفهم الإقلاع عن ذلك الشذوذ!! على أية حال لقد هموا همهم، وحزموا أمرهم، وأراد الله غير ما كانوا يريدون"[٧٣].

المطلب الرابع: وصف بني إسرائيل بالجهل

بنو إسرائيل قوم يجهلون، لأنهم قابلوا نعم الله ﷻ بالكفر به، فقال فيهم جل سبحانه: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٨].

والفعل الذي صدر عن بني إسرائيل، فعل لا يمكن أن يتخيله عقل، لأن العقل السليم يرفض أن يجازي المحسن بالإساءة، فكيف إذا كان قابله بالجحود، قال

البيضاوي: "وصفهم بالجهل المطلق وأكده، لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل"(٧٤).

فهذه جهالة مشوبة بالجحد والعناد والاستكبار، جهالة مصحوبة بالكفر بالله ﷻ، ربهم وخالقهم، قال الشوكاني: "وصفهم بالجهل: لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزجر من له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله، ولكن هؤلاء القوم-أعني بنى إسرائيل- أشد خلق الله عنادا وجهلا وتلونا"(٧٥).

لذلك لم يقل ربنا جل سبحانه: من أي شيء جهالتهم، بل جعلها جهالة عامة، لأنها جهالة تتعلق بتوحيد الله سبحانه، والتي هي أساس كل جهل، وفاتحة لكل أنواع الجهالة، قال سيد قطب: "ولم يقل تجهلون ماذا؟ ليكون في إطلاق اللفظ ما يعني الجهل الكامل الشامل، الجهل من الجهالة ضد المعرفة، والجهل من الحماقة ضد العقل! فما ينبعث مثل هذا القول إلا من الجهالة والحمق إلى أبعد الحدود! ثم ليشير إلى أن الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما ينشأ من الجهل والحماقة، وأن العلم والتعقل يقود كلاهما إلى الله الواحد، وأنه ما من علم ولا عقل يقود إلى غير هذا الطريق...، إن العلم والعقل يواجهان هذا الكون بنواميسه التي تشهد بوجود الخالق المدبر، وبوحدانية هذا الخالق المدبر، فعنصر التقدير والتدبير بارز في هذه النواميس، وطابع الوحدة ظاهر كذلك فيها وفي آثارها التي يكشفها النظر والتدبر - وفق المنهج الصحيح- وما يغفل عن ذلك كله، أو يعرض عن ذلك كله، إلا الحمقى والجهال، ولو ادعوا (العلم) كما يدعيه الكثيرون!"(٧٦).

المطلب الخامس: وصف عامة الكافرين بالجهل.

لما وصف الله ﷻ أمما بعينها بالجهالة، ختم ذلك ببيان أن أكثر الكافرين يجهلون، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلَآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[الأنعام: ١١١].

والجهالة العامة التي استوى كل كافر في النسبة إليها، هي جهالة الحق، وجهالة الاتباع والانقياد إليه، قال القرطبي: "﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾: أي يجهلون الحق"(٧٧).

فهم لجهلهم اعتقدوا أن الإيمان بيدهم، متى ما شاؤوا آمنوا، وكيفما شاؤوا يؤمنوا، إلا أن الله ﷻ بيّن لهم أن هذا من جهالتهم، وأن الإيمان بيد الله -سبحانه-، يهدي من يشاء إليه، ويصرفه عمّن يشاء، قال سيد قطب: "ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان

إليهم، والكفر بأيديهم، متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا كفروا، وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضللته"(٧٨).

وهذه الجهالة هي التي تحول بينهم وبين إيمانهم بالله ﷻ، حتى كفروا به، وتركوا الانقياد لدينه، قال الشوكاني: "جهلا يحول بينهم وبين إدراك الحق، والوصول إلى الصواب"(٧٩).

فالله ﷻ يعلم بسابق علمه الأزلي، أن هؤلاء الكافرين لن يؤمنوا حتى لو رأوا من الآيات ما هو العجب العجاب، إلا أن الكافرين يجهلون ذلك، قال الآلوسي: "والمعنى أن حالهم كما شرح، ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات، لجهلهم عدم مشيئته-تعالى- لإيمانهم حينئذ، فيقسمون بالله تعالى جهد إيمانهم على ما لا يكاد يوجد أصلا"(٨٠).

وإذا كان الله ﷻ قد وصف أكثر الكافرين بالجهالة، إلا أن الجهالة تشملهم جميعا، جهالة الوصول إلى الحق وإدراكه، إذ لو لم يكونا كذلك لآمنوا بالله ﷻ، خالقهم، ورازقهم، والمنعم المتفضل عليهم، والمستحق وحده للعبادة، ولذلك قال البيضاوي: "أسند الجهل إلى أكثرهم، مع أن مطلق الجهل يعمهم"(٨١).

المبحث الخامس: بيان براءة الأنبياء عليهم السلام من الجهل والجاهلية.

وإذا كان الله ﷻ قد أثبت جهالة الكافرين والمشركين، فإنه سبحانه قد نزّه الرّسل عنها، ونفاها عنهم بكل معانيها، وأمرهم بالابتعاد عن أهل الجهالة، بل ونهاهم عن الخوض معهم، وهذا بيان ذلك.

المطلب الأول: براءة نوح عليه السلام من الجهل.

أمر الله ﷻ نبيه نوح عليه السلام بألا يكون من الجاهلين، فقال سبحانه: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[هود: ٤٦].

وهذه الآية وإن كان ظاهرها النهي، إلا أن المراد منها النفي، نفي الجهالة عن نوح عليه السلام، قال ابن العربي: "وهذه زيادة من الله، وموعظة يرفع بها نوحاً عن مقام الجاهلين، ويعليه بها إلى مقام العلماء العاملين"(٨٢)، وقال ابن جزّي الكلبي: "(إنَّ) في موضع مفعول من أجله، تقديره أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصف له بالجهل بل فيه ملاطفة وإكرام"(٨٣).

وأشار الآلوسي إلى أن هذه الآية مثل قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

[هود: ٤٢]، فهي لا تدل على أنه من الكافرين، بل تنفي عنه ذلك، قال الآلوسي: "﴿وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يدل على أنه كافر عنده، بل هو نهي عن الدخول في غمارهم، وقطع بأنه ذلك يوجب الغرق على الطريق البرهاني...، وكأنه عليه السلام حمل مقاولته على غير المكابرة والتعنت، لغلبة المحبة وذهول عن إعطاء التأمل حقه، فلذلك طلب ما طلب فعوتب بأن مثله في معرض الإرشاد والقيام بأعباء الدعوة تلك المدة المتطاولة لا ينبغي أن يشتبه عليه كلام المسترشد والمعاند ويرجع هذا إلى ترك الأولى، وهو المراد بقوله سبحانه: ﴿إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾"[٨٤].

وقد يكون المراد من الآية مفهوم الخلاف، بمعنى أنك إذا سألت ما ليس لك به علم فإنك سوف تكون من الجاهلين، فلا تسألن ما ليس لك به علم حتى لا تكون منهم، قال سيد قطب: "إني أعظك خشية أن تكون من الجاهلين بحقيقة الوشائج والروابط، أو حقيقة وعد الله وتأويله، فوعد الله قد أُول وتحقق، ونجا أهلك الذين هم أهلك على التحقيق"[٨٥].

والآية وإن كان المراد منها النفي، إلا أنها تحمل بين ثناياها النهي أيضا، فهي نفت عن نوح عليه السلام الجهالة، ونهته أيضا عنها، قال القرطبي: "﴿إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾: أي أنهاك عن هذا السؤال، وأحذرك لئلا تكون، أو كراهية أن تكون من الجاهلين، أي الآثمين، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[النور: ٢٤]: أي يحذركم الله وينهاكم"[٨٦].

المطلب الثاني: تنزيه يوسف عليه السلام عن الجهل

يوسف عليه السلام دعا ربه أن يصرف عنه كيد النسوة اللواتي راودنه عن نفسه، لأنه إذا لم يصرف عنه كيدهن فإنه سيكون من الجاهلين، قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[يوسف: ٣٣].

وقد صرف الله عز وجل عن نبيه يوسف عليه السلام كيدهن، وهذا يقتضي أن يكون قد صرف عنه الجهالة، ووقاه منها، وأبعده عنها، قال الرازي: "طلب من الله سبحانه وتعالى أن يحدث في قلبه أنواعاً من الدواعي المعارضة، النافية لدواعي المعصية، إذ لو لم يحصل هذا المعارض لحصل المرجح للوقوع في المعصية خالياً عما يعارضه، وذلك يوجب وقوع الفعل"[٨٧].

والذي يؤكد أن الله ﷻ نزّه نبيه عن الجهالة، أن الله ﷻ قال: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤]، وهذا يقتضي أنه صرف عنه كل أمر محظور قبل هذه الآية، بما في ذلك كيد النساء، والجهالة، قال ابن كثير: "عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع"(٨٨).

المطلب الثالث: استعاذة موسى عليه السلام من الجهل.

ذكر القرآن الكريم استعاذة موسى عليه السلام من أن يكون من الجاهلين، قال جل سبحانه:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

ففي استعاذة موسى عليه السلام دليل قطعي على براءته منها، إذ كيف يستعيذ بالله من أمر ثم هو يفعله، ولذلك قال الآلوسي: "وقد نفاه عليه السلام عن نفسه قصدا إلى نفي ملزومه الذي رمي به...، والاستعاذة بالله تعالى من ذلك من باب الأدب والتواضع معه سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، لأن الأنبياء معصومون عن مثل ذلك"(٨٩)، وقال ابن الجوزي: "وإنما انتفى من الهزء لأن الهازئ جاهل لاعب"(٩٠).

وقد دلت الآية على كره موسى عليه السلام للجهل، لدرجة أنه استعاذ بالله -عز وجلّ- من أن يكون من أهله، والنبي لا يستعيذ بالله إلا من شيء عظيم، قال أبو السعود: "لأن الهزؤ في أثناء تبليغ أمر الله -سبحانه- جهل وسفه، نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على أبلغ وجه وآكده، بإخراجه مخرج مالا مكروه وراءه، بالاستعاذة منه استفظاعا له، واستعظاما لما أقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه عليه السلام بها"(٩١).

وأشار سيد قطب رحمه الله، إلى حكمة موسى عليه السلام في نفي الجهالة عنه، وفي تقريعه لبني إسرائيل على اتهامهم له بذلك، فيقول: "كان رد موسى على هذه السفاهة أن يستعيذ بالله وأن يردهم برفق، وعن طريق التعريض والتلميح، إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق جل علاه وأن يبين لهم أن ما ظنوه به لا يليق إلا بجاهل بقدر الله، لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخاه: قالَ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾"(٩٢).

المطلب الرابع: أمر محمد عليه السلام بالإعراض عن الجاهلين.

نهى الله ﷻ نبيه محمد ﷺ أن يكون

من الجاهلين، فقال سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّما فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَة وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

ولم يكتف الله ﷻ بنهي نبيه، بل وأمره بالإعراض عن الجاهلين، فقال جل سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩].

وهذا الخطاب من الله ﷻ لنبيه بصيغة الأمر، يقتضي أن يُقابل بالطاعة والاستجابة من النبي ﷺ، والتوفيق والإعانة من الله ﷻ، وهذا يعني أن النبي ﷺ مُنزّه عن الجاهلية، بريء منها، معرض عنها.

ونهي الله ﷻ عن الجاهلية، وأمره بالإعراض عنها، لا يقتضي أن يكون فيه شيء منها، بل المقصود إبعاده عن جملة الجاهلين، وتنزيهه ﷺ عنهم، قال الرازي: "﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: نهي له عن هذه الحالة، وهذا النهي لا يقتضي إقدامه على مثل هذه الحالة، كما أن قوله: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ٤٨]، لا يدل على أنه ﷺ أطاعهم وقبل دينهم، والمقصود أنه لا ينبغي أن يشتد تحسرك على تكذيبهم، ولا يجوز أن تجزع من إعراضهم عنك، فإنك لو فعلت ذلك قرب حالك من حال الجاهل، والمقصود من تغليظ الخطاب: التبعيد والزجر له عن مثل هذه الحالة، والله أعلم"(٩٣).

فهذه النماذج الأربعة، ما هي في الحقيقة إلا تأكيدا لمبدأ سلامة الأنبياء عليهم السلام من الجهالة، وبيانا لبراءتهم منها، فما انطبق على نوح، ويوسف، وموسى، ومحمد-عليهم السلام- ينطبق على الأنبياء كلهم، لأن دعوة الأنبياء واحدة، ودينهم واحد، وربهم واحد، وهدفهم واحد، وعدوهم واحد، فلا بد أن يكونوا متشابهين في كثير من صفات الكمال البشري، منزهين عما يشوب ذلك أو يعارضه، أو يمنعه.

بل إن بعض العلماء أشار إلى أن هذا الأمر ينطبق أيضا على المؤمنين الصادقين، أتباع الأنبياء، فهم كذلك مبرّؤون من الجهالة، ولذلك لما فسّر القرطبي قول الله ﷻ: ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ، قال: "الخطاب له ﷺ، والمراد الأمة"(٩٤).

الخاتمة:

بعد هذه الجولة مع منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية، فإنه يجدر بنا أنْ نسجِّل أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

١-إن الإطلاق اللغوي للجهل مرتبط

بثلاثة أمور؛ الأول: مرتبط بالاعتقاد الذهني، وهو الجهل بالشيء. والثاني: مرتبط بالسلوك، وهو فعل الأمر على غير صورته. والثالث: مرتبط بالاصطلاح العرفي، وهي الفترة التي كانت قبل مجيء الإسلام.

٢-حذّر القرآن الكريم من الجاهلية، وأشار إلى زيفها وخطرها، واتّبع في سبيل ذلك أساليب عدّة، ومناهج كثير؛ ليصدّ عنها، ويُبعد الناس عن مصائدها.

٣-حذر القرآن الكريم من سلوك الجاهلية من خلال: بيان بطلان أمور الجاهلية، وبيان ما في الجاهلية من فتنة وابتلاء، وإظهار ندامة من عمل بعمل الجاهلية، وإصدار الأحكام الصارمة بحق من عمل عملا من أعمال الجاهلية، وبيان عقوبة من عمل بأعمال الجاهلية.

٤-أمر الله ﷻ المؤمنين بالإعراض عن الجاهلية، وبين استجابتهم لهذا الأمر.

٥-حذر القرآن الكريم من الجاهلية من خلال وصف الأمم الكافرة بالجهل، فقد ورد هذا الوصف بحق قوم نوح عليه السلام، وقوم عاد، وقوم لوط، وبني اسرائيل، والكافرين عموماً.

الهوامش:

(١) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م، ج٦، ص٣٧.

(٢) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج١، ص٣٥٠.

(٣) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين ابن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، لبنان، دار المعرفة، ج١، ص١٠٢.

(٤) انظر: عبدالباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص٢٢٥.

(٥) السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، **تفسير القرآن، المعروف بـ (تفسير السمعاني)**، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس غنيم، السعودية، الرياض، دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج٢، ص٤٣٣.

(٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ، ج١، ص٤٣٢.

(٧) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج١٤، ص١٨٣.

(٨) رواه مسلم. انظر: أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت)، دار إحياء التراث العربي، كتاب الحج، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم ١٢١٨، ج٢، ص٨٨٦، والحديث طويل جدا، وهذه الجملة هي جزء منه.

(٩) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، **شرح النووي على صحيح مسلم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج٨، ص١٨٢.

(١٠) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٩، ص٤٦.

(١١) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ج٢، ص٤٤٨.

(١٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاء العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود)**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٣، ص٣٦٨.

(١٣) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، بيروت، دار المعرفة، ج٣، ص٣٦٥.

(١٤) رواه أحمد والترمذي. انظر: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، مسند الشاميين، حَدِيثُ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث ١٧١٧٠، ج٢٨، ص٤٠٤، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، أبواب الأمثال، بَاب ما جاء فِي مَثَلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، حديث ٢٨٦٣، ج٥، ص١٤٨، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١٥) الآلوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٩، ص٤١.

(١٦) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ، ط٣، ج١، ص٤٨٢.

(١٧) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٤، ص٩٨.

(١٨) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**. ٧مج. ط٢، بيروت- دار الفكر، ١٩٧٠م، ج١، ص٤١٨- ٤١٩.

(١٩) الرازي، **التفسير الكبير**، ج٩، ص٤١.

(٢٠) الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢٨، ص١٠٤.

(٢١) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٢٦، ص١٤٧.

(٢٢) الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢٨، ص١٠٤.

(٢٣) المرجع السابق، ج٢٨، ص١٠٤.

(٢٤) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٨، ص١١٨. وانظر: البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)**، بيروت، دار الفكر، ج٥، ص٢١٤.

(٢٥) **عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**: كبر وتجبر الجاهلية. قال الزمخشري: قوله «عبية الجاهلية» في الصحاح: رجل فيه عبية، أى: كبر وتجبر. وعبية الجاهلية: نخوتها. انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٤، ص٣٧٥. وانظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، لبنان، دار المعرفة، تح: علي محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، ج٢، ص٣٨٤.

(٢٦) الجعلان: هو حيوان معروف كالخنفساء. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، **لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١، ج١١، ص١١٢.**

(٢٧) رواه أحمد وأبو داود والترمذي. انظر: أحمد، **مسند أحمد**، مسند أبي هريرة، حديث ٨٧٣٦، ج١٤، ص٣٤٩، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر)، كتاب الأدب، بَاب فِي التَّفَاخُرِ بِالْأَحْسَابِ، حديث ٥١١٦، ج٤، ص٣٣١. الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب تفسير القرآن، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ، حديث ٣٢٧٠، ج٥، ص٣٨٩. قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ من حديث عبد اللَّهِ بن دِينَارٍ عن بن عُمَرَ إلا من هذا الْوَجْهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بن جَعْفَرٍ يُضَعَّفُ ضَعَّفَهُ يحيى بن مَعِينٍ وَغَيْرُهُ.

(٢٨) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٤، ص٢٤١.

(٢٩) القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، القاهرة، دار الشعيب، ج١٢، ص٢٤.

(٣٠) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٣، ص٤٧.

(٣١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٦٨.

(٣٢) سورة هود، الآية ٨٣.

(٣٣) النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن

محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)**، تحقيق: مروان الشعار، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٥م، ج٣، ص٣١٨.

(٣٤) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ج٦، ص٢٥٩.

(٣٥) قطب، محمد، **جاهلية القرن العشرين**، مصر، دار الشروق، ط١٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص١٩٦.

(٣٦) المصدر السابق، ص١٩٩.

(٣٧) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج٣، ص٣٠٨.

(٣٨) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، بيروت، دار الفكر، ج٢، ص٢٧٩.

(٣٩) الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر، **المستقصى في أمثال العرب**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، ط٢، ج١، ص٥.

(٤٠) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، تحقيق: ابن عثيمين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج١، ص٣١٣.

(٤١) انظر: قطب، سيد إبراهيم حسن الشاربي، **في ظلال القرآن**، لبنان، بيروت، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ، ج٣، ص١٤١٨.

(٤٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧، ص٣٤٤.

(٤٣) البغوي، **معالم التنزيل**، ج٢، ص٢٢٤.

(٤٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧، ص٣٤٧.

(٤٥) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٤١٩.

(٤٦) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السدي، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبدو شلبي، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٨، ط١، ج٤، ص١٤٩.

(٤٧) الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢٤، ص٢٢٥.

(٤٨) المصدر السابق، ج٢٤، ص٢٢٥.

(٤٩) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٤، ص٢٩٢.

(٥٠) البغوي، **معالم التنزيل**، ج٣، ص٤٥٠.

(٥١) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٥، ص٧.

(٥٢) النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٤، ص١٣١.

(٥٣) أخرجه البخاري. انظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، كتاب

الديات، بَاب من طَلَبَ دَمَ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، حديث ٦٤٨٨، ج٦، ص٢٥٢٣.

(٥٤) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الدمشقي، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، بيروت، دار عالم الكتب، ١٩٩٩م، ط٧، ج١، ص٧٦.

(٥٥) أخرجه الإمام أحمد، **مسند الإمام أحمد**، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله ابن عمر ﷺ، حديث ٥١١٤، ج٩، ص١٢٣، وأبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب اللباس، بَاب في لُبْسِ الشُّهْرَةِ، حديث ٤٠٣١، ج٤، ص٤٤. قال الشيخ الألباني الحديث (صحيح)، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م، رقم ٢٨٣٠، ج١، ص٥٤٥.

(٥٦) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٤٩.

(٥٧) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ج١، ص٢٢١.

(٥٨) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم ١٢١٨، ج٢، ص٨٨٦، والحديث طويل جداً، وهذه الجملة هي جزء منه.

(٥٩) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٤، ص٩٤.

(٦٠) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج١، ص١٢٨-١٢٩.

(٦١) أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَاب قَوْلِ النبي ﷺ: لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ من كان قَبْلَكُمْ، حديث ٦٨٨٩، ج٦، ص٢٦٦٩، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب العلم، بَاب اتباع سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، حديث ٢٦٦٩، ج٤، ص٢٠٥٤.

(٦٢) شاكر، أحمد، **حكم الجاهلية**، مكتبة السنة، ط١، ١٩٩٢م، ص٦٩.

(٦٣) الرازي، **التفسير الكبير**، ج١٧، ص١٧٣.

(٦٤) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٢، ص٤٢.

(٦٥) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٢٦، ص٢٥.

(٦٦) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٥، ص٢٣.

(٦٧) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٢٦٦.

(٦٨) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق، الدار الشامية، وبيروت، دار القلم، ط١، ١٤١٥هـ، ج٢، ص٩٩٧.

(٦٩) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٦٤٧.

(٧٠) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٩، ص٢١٦.

(٧١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج١، ص٦٧٠.

(٧٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٤، ص٢٧٢.

(٧٣) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٦٤٨.

(٧٤) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٣، ص٥٥.

(٧٥) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٢، ص٢٤٠.

(٧٦) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٣٦٦.

(٧٧) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧، ص٦٧.

(٧٨) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١١٨٨.

(٧٩) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٢، ص١٥٣.

(٨٠) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٨، ص٤.

(٨١) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٤٤٣.

(٨٢) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٢، ص٥٠٣.

(٨٣) ابن جزّي الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ج٢، ص١٠٦-١٠٧.

(٨٤) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٢، ص٧٠.

(٨٥) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص١٨٨٠.

(٨٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٩، ص٤٨.

(٨٧) الرازي، **التفسير الكبير**، ج١٨، ص١٠٦.

(٨٨) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٤٧٨.

(٨٩) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٨٦.

(٩٠) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج١، ص٩٧.

(٩١) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج١، ص١١١.

(٩٢) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٧٨.

(٩٣) الرازي، **التفسير الكبير**، ج١٢، ص١٧٢.

(٩٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٦، ص٤١٨.